العرب
الجمعة 2020/11/06
السنة 43 العدد 11873

الشعر الأدائي طوق نجاة لانتشال القصيدة من ركودها

السينما والمسرحة والحركة والغناء أدوات غير نمطية في يد الشاعر

لم يعد الشعر متوقفا على النصوص المكتوبة، بل اتجه إلى الأداء الحركي والمشهدي، في ظل رفض البعض وترحيب آخرين. بينما الشعر مرتبط بالإلقاء والحضور والمشهدية منذ الإغريق، وهو ما دفع أرسطو إلى عنونة مؤلفه الأول في التاريخ حول المسرح بـ"فن الشعر"، لكن النص الشعري الحديث والمعاصر تحرر من ذلك لصالح النص المكتوب.

شريف الشافعي
كاتب مصري

الشاعر العراقي مازن المعموري يؤدي شعره

لا يتوقف تطور الآداب والفنون عند حد، فدائما هناك الجديد في سائر الحقول والمجالات، حيث لا يكف الخيال الإبداعي عن تطوير الأنماط التعبيرية السائدة، وابتكار ألوان مستحدثة لم تكن منتشرة من قبل، وذلك كسرا للرتابة، ومواكبة لطبيعة العصر.

من هذا المنطلق، يأتي "الشعر الأدائي" بطقوسه وأبجدياته المختلفة القائمة على الصورة والحركة ليضيف حيوية من نوع خاص إلى القصيدة التي باتت تعاني أزمات فادحة في ثوبها النمطي.

جموح وارتجال

يخطئ من يظن أن للقصيدة وجها واحدا مألوفا، هو ذلك النص المنشور ورقيّا في كتاب أو صحيفة، أو المبثوث رقميّا في فضاء إلكتروني بأقصى تقدير، فهناك متغيرات كثيرة بددت هذه المفاهيم.

وخرجت بالقصيدة من أحاديتها المبنية على مركزية اللغة وجمالياتها البيانية، وذلك بالاتساق مع تصاعد مدّ الفنون التعبيرية والجسدية ومسرح الشارع والميدان والبوب آرت وغيرها من الإبداعات الحرة والجماهيرية التي خرجت من القوالب النخبوية.

> فوز ديلان بجائزة نوبل للآداب برهن على أن القصيدة المغنّاة، شأنها شأن الشعر الأدائي، ليست موضة زائلة

ليس من شك في أن الكلمة تبقى بدرجة كبيرة أساسا للبنيان الشعري، لكنّ هناك عناصر أخرى غير هيّنة قد باتت تزاحمها بقوة في أشكال أخرى للقصائد المتمردة على تعاليمها المتوارثة، مثل القصائد الأدائية، والمغنّاة، التي لا ترتضي بوضعية الحروف الثابتة، وأسس "التأليف" التقليدية.

يفتح الشعر الأدائي ذراعيه لاحتضان مفردات شتى تخلخل منظومة القصيدة المكتفية بذاتها، التي صارت محل اتهامات كثيرة بالاجترار والتكلس والجمود والمجانية في استحضار التفاصيل اليومية والأحداث العابرة بميكانيكية وصبغة مذكراتية باردة، ما أفقدها وهجها ودهشتها وبراءتها وقدرتها على المباغتة والإتيان بغير المتوقع.

هذه المفردات، يستدعيها الشعر الأدائي من حقول أخرى صديقة، لشحن القصيدة بالحيوية وبالتفاعلية لحظة "عرضها" أمام الجمهور، فالنص الشعري ليس ما يجري "إلقاؤه" على السامعين في ندوة أو تتم قراءته من جانب المتلقي، إنما هو مزيج من "تحضير أوّلي" لسياق لغوي مبعثر غير نهائي يعمل الشاعر في ضوئه عند العرض.

ويتضمن مجموعة من الحركات والإيماءات واللقطات والإشارات والصيحات والرموز وغيرها من التعبيرات الصوتية المنغّمة والتمثيلية والجسدية التي يقوم بها الشاعر، إلى جانب الإيقاعات والألحان الموسيقية التي قد تضاف إلى هذه التوليفة في بعض الأحوال.

ويكون للارتجال دور كبير في إنجاح الشعر الأدائي، ففي كل مرة يقدم الشاعر نصه فإنه يعرضه بصورة مختلفة، وفق مكان العرض وطبيعة الجمهور ودرجة التفاعل مع الحضور وحالة الشاعر لحظة الاندماج.

وقد يطول الارتجال كل العناصر الشعرية، بما فيها كلمات القصيدة أو ذلك التحضير الأوّلي لقاموسها اللغوي المرن، الذي ليس هو كل شيء في هذا النسق الفريد.

إن المتابع للملتقيات والمهرجانات الشعرية الدولية خلال السنوات القليلة الماضية يجد تناميا واسعا للشعر الأدائي، الذي لم تُفرد له بعد مؤتمرات مستقلة بما يليق به، لكنه صار ينافس الشعر المألوف ويلقى رواجا مطردا في اللغات الأجنبية، لدى الشعراء الأوروبيين والأميركيين والأفارقة، ويتحسس طريقه بخطوات واثقة في اللغة العربية.

من الأمثلة على هذه المحاولات، تجربة الشاعر أندرو مانوكا من زيمبابوي، الذي يعرّف ذاته في المهرجانات الدولية بأنه "شاعر وكوميديان"، ويقدم عروضا شعرية جسدية مونودرامية، تمزج القصيدة بالصيغ الكاريكاتيرية والكوميدية الساخرة.

واعتمد بشكل أساسي على التفاعل المباشر مع الجمهور لتوصيل فكرته، وفي الخلفية إيقاعات أفريقية تصاحب الكلمات والإشارات والصيحات الدالّة، التي تنوب عن اللغة.

وفي العربية، هناك تجربة الشاعر المغربي محمد العمراوي، المقيم في فرنسا، الذي يقدم عروضا شعرية موسيقية، يتقاطع فيها الإلقاء والتمثيل والمسرحة واللقطات السينمائية والفيديو ومونتاج الصوت، وتختلط اللغات العربية والأمازيغية والفرنسية والأناشيد والأغنيات، إلى جانب رفعه "أذان الصلاة" والتكبيرات والأدعية خلال العرض الشعري الشامل المثير.

وثمة تجارب أخرى كثيرة متميزة، منها عروض الشاعر مازن المعموري ورفاقه من مؤسسي جماعة "ميليشيا الثقافة" العراقية، التي تقدم القصائد كعروض ممسرحة في مناطق الخطر والألغام والاشتعالات والخراب، بأجساد شبه عارية أحيانا أو مطليّة بالطين، وتعتنق هذه التجربة في الشعر الأدائي فلسفة "الانتقال من عطل اللغة إلى بلاغة الجسد".

غنائيات شعرية

يعد تقوقع القصيدة الاعتيادية في شرنقتها الانعزالية من أبرز أسباب نشوء أشكال شعرية بديلة، وتحققها، ونجاحها على هذا النحو. وبالإضافة إلى الشعر الأدائي الحركي، الذي ينتهج تكنيك السينما والمسرح والتشكيل في الاعتناء بالصورة واللقطات القريبة والكادرات السريعة وإبراز ملامح الوجه الدقيقة وبلورة تعبيرات الجسد، هناك القصائد المغنّاة أو الغنائيات الشعرية، التي صارت محسوبة على الشعر والميدان الأدبي "الرصين"، لاسيما بعد فوز الأميركي بوب ديلان بجائزة نوبل في الآداب عام 2016.

جاء فوز ديلان بالجائزة الأدبية الأكبر في العالم ليبرهن أن القصيدة المغنّاة، شأنها شأن الشعر الأدائي، ليست موضة زائلة، بل إن هذا اللون الدارج من الشعر والمستساغ على ألسنة العاديين والبسطاء أدى إلى نقل الإصدارات الشعرية (الأسطوانات وليست الكتب) إلى فضاء "الأكثر مبيعا" شأن الروايات والقصص المسلية والرائجة، وكان من النادر أن يلقى إصدار شعري اهتماما شعبيّا متعاظما.

لم يفز الشاعر الأميركي بالجائزة في الآداب كونه موسيقيّا ومطربا فقط، وإنما لأن "عروضه" تقدّم قدرا من الشعرية والثقافة والقدرة على انتقاء المعاني القريبة وفق رؤية خاصة غير متعالية، وهذا التوجه بالشعر إلى الجمهور هو الدافع الأول لظهور ثيمات القصيدة المغايرة، أدائيّا وغنائيّا، بعدما وصلت القصيدة البصرية والإنشادية إلى حلقات مفرغة.

ومهما لجأ الشعر التقليدي المقروء والمسموع إلى التبسيط والتعاطي مع اليومي والعابر والقريب، يظل نسقا ضيقا يتعامل مع الفرد في المقام الأول وليس مع الجماعات الضخمة.

كما أن اتكاءه على ركيزة مركزية هي الوعاء اللغوي يقلص آفاقه في التجريد وتوسعة دوائر الخطاب، وهذا ما تسعى قصائد الأمكنة المفتوحة، الأدائية والمغنّاة، إلى تجاوزه بعناصرها المستقاة من فنون الصوت والصورة والحركة والهواء الطلق.

«خرائط الرجوع» لميسون صالح عيسى: قصص سورية بطلتها الأرض

دمشق – تخلد النصوص التي ضمتها المجموعة القصصية "خرائط الرجوع"، باكورة إصدارات الكاتبة ميسون صالح عيسى، إلى دعة الوصف الذي جاء بسيطا ومباشرا ولكنه غني بالتفاصيل.

وجاءت لغة أغلب النصوص تسجيلية بطريقة العين السينمائية فالكاتبة تضع قارئها في أجواء الحدث بكل ما فيه من شخوص وأماكن بأسلوب تخييلي دون كثير من الإغراق، ربما لأن النص القصصي محدد الحجم لا يتيح لصاحبه الكثير من التوسع.

وليس غريبا أن تهيمن على قصص ميسون المواضيع الوطنية فهي ابنة الجولان المحتل والتي عانت كأبنائه من مرارة النزوح وسرقة الاحتلال الصهيوني للأرض والممتلكات والذكريات، وبدا ذلك واضحا من عنوان المجموعة ومن عدة قصص مثل "حسيبة" تلك المرأة التي كانت شاهدا على نكسة حزيران 1967، حيث هجرتها قوات الاحتلال من قريتها الواقعة على السفح الغربي لهضبة الجولان لتصرخ بوجههم في ختام القصة بكلمة "سنعود".

وتذكر عيسى في حديث حول ارتباط قصص مجموعتها بالأرض بأنها من الجيل الذي ولد بعد نكسة حزيران في أسرة اضطرت إلى مغادرة قرية عين فيت بعد الاحتلال الصهيوني، من دون أن يمنع ذلك ذويها من تنشئتها وإخوتها على حب الأرض والتعلق بالجذور والتعلق بهاجس العودة في كل تفاصيل الحياة، حتى سال تلقائيا مع حبر القلم وتجلى على شكل مجموعة من القصص أحبت أن تدون فيها كل التفاصيل التي تشربها خيالها عن قريتها المحتلة.

وحول اختيارها للقصة القصيرة لتكون مدخلا لتجربتها الأدبية تشير إلى أنها تميل إلى هذا الجنس الأدبي الذي استهواها دائما وكانت لديها تجربة في كتابة قصص الأطفال معتبرة أن القصة القصيرة تلبي حاجات القراء في عالم اليوم لأنه يميل إلى السرعة والتكثيف من دون أن يلغي ذلك الرواية كمشروع مطروح عندها مستقبلا.

ولا تحبذ عيسى أسلوبا معينا في كتابة القصة القصيرة "فالإبداع لا يخضع لمقاييس ولكل تجربة إبداعية الحق بأن تخلق أسلوبها الخاص والمتفرد ولاسيما أن عالم الأدب رحب يستوعب كل ومضة كما يتسع الكون لعدد لا نهائي من النجوم الصغيرة والكبيرة".

> المجموعة القصصية تمثل باكورة إصدارات الكاتبة ميسون صالح عيسى التي تسعى من خلالها إلى التذكير بقضايا الاحتلال

وتبين أن أبرز سمة في مجموعة "خرائط الرجوع" هي التركيز على تفاصيل المشهد في القصة لأنها وجدت في نفسها القدرة على تحريك المخيلة والبقاء في ذهن القارئ "كما نشعر عندما نتناول فنجان قهوة صغيرا وتظل رائحته ونكهته عالقة في حاستنا الذوقية".

ميسون صالح عيسى التي يدفعها شغفها للتفكير بأعمال قادمة وإنجاز مجموعة قصصية جديدة في المستقبل القريب تدعو في ختام حديثها كل من يريد الدخول إلى عالم الأدب إلى قراءة الكثير من الأعمال الأدبية ثم اختيار أسلوبه الخاص.

التراث الثقافي لمراكش يبدأ من أسواقها

مراكش – صدر حديثا عن مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال بمراكش، كتاب جديد يحمل عنوان "الأسواق العتيقة بمراكش.. الذاكرة والمستقبل"، لمؤلفه إبراهيم صفاء الفيلالي.

ويستحضر هذا الكتاب، الذي يقع في 275 صفحة من الحجم المتوسط، ذاكرة أسواق مدينة مراكش العتيقة، وهي تشمل شريحة اجتماعية من فئة التجار على اختلاف أصنافهم، وفئة من الحرفيين على اختلاف وتنوع صنائعهم.

ويضم الكتاب أربعة أبواب كبرى تشمل "مراكش معلمة حضارية تنتمي إلى التاريخ المغاربي"، و"أسواق مدينة مراكش"، و"مراكش مدينة سياحية ذات إشعاع عالمي"، و"أي مستقبل ينتظر مدينة مراكش؟"، إلى جانب فهرس خاص بالأعلام والأسواق.

وفي معرض تقديمه لهذا الكتاب، أوضح الباحث مصطفى فنيتير، أن هذا المؤلف "محاولة جادة لاستحضار ذاكرة أسواق مدينة مراكش العتيقة (...). وكانت الحاجة ملحة لاستحضارها وإخراجها من زاوية النسيان، إنها في العمق محاولة لإعادة تركيب الماضي وإعادة صياغته من جديد".

وأضاف أن "الهم الأساسي الذي انطلق منه هذا العمل هو إبراز خصوصية مدينة مراكش كمعلم تاريخي بعمقها الحضاري والثقافي، وذلك بفضل موقعها المتميز، وطبيعة تركيبة سكانها المرتبطة عضويا بمحيطها القبلي المتنوع مما ساعد على انصهارهم وذوبانهم داخل مجال المدينة، فتحقق بذلك نوع من التعايش والتساكن. فأصبحت المدينة بمثابة سوق كبير يستوعب ويستقطب كل الأنشطة الاقتصادية والثقافية التي تتمتع بنفوذ وإشعاع قوي يطالان الجنوب بأكمله".

وسجل أن أسواق المدينة تروج المنتجات المحلية المتنوعة والتي تبرز إبداع وذوق الصانع المحلي والوطني وباتت تمثل إرثا ثقافيا، كما "تلبي كافة الحاجات الضرورية للسكان. فهي تمثل فضاء عموميا للتبادل والتواصل والتعارف وانتظمت مختلف مجالاتها التجارية عبر حقب تاريخية متفاوتة".

وجاء في التقديم "لقد ظهرت بوادر التحول والانتقال منذ مطلع القرن 20، حيث أصبحت ساحة جامع الفنا هي القلب النابض للمدينة، ومنها ينقلنا الباحث في رحلة ممتعة وشيقة عبر الأزقة والشرايين والمداخل لولوج أسواق المدينة العتيقة بكل مجالاتها".

وتوقف الباحث في رصد لحظة التحول، حيث فقدت المنتوجات المحلية هويتها المحلية والوطنية بفعل ضغط المنتوج الأجنبي وتأثيره على بنية وهيكلة الأسواق العتيقة، حيث عاصر لحظات التحول وعاش أصعب فتراته.

> الكتاب يبرز خصوصية مراكش كمعلم حضاري وثقافي متجولا بقرائه من ساحة جامع الفنا إلى شرايين المدينة وأسواقها

والأهم، أن هذه الذاكرة احتفظت بدور هذه الشريحة الاجتماعية من تجار وحرفيين موهوبين على اختلاف فئاتهم وأصنافهم، وإصرارهم للحفاظ على الهوية الثقافية المحلية ومناهضتهم لكل أشكال التغلغل الاستعماري بأساليبه وأدواته ومنتوجاته، وبقيت محتفظة بأسمائهم ومواقعهم النضالية وتجاوبهم مع الحركة الوطنية.

وخلص التقديم إلى أن "هناك معطيات حضارية وتراثية هامة أهلت مدينة مراكش لتصبح وجهة سياحية بامتياز ذات إشعاع عالمي، لكن هذا الامتياز يستند على أسس هشة غير قادرة على مواجهة التحولات العميقة على المستوى الوطني والعالمي في ظل ما يسمى بالعولمة"، متسائلا عن "أي مستقبل ينتظر مدينة مراكش؟".